تخصص: ماستر اللسانيات التطبيقية

السداسي الأول

المحاضرة الأولى

مفهوم اللسانيات التطبيقية ومجالاتها

إعداد: أ.د/محمد خاين

المقدّمة:

يستدعي ولوج حقل اللّسانيّات التّطبيقيّة*الانطلاق من مسلّمة بحثيّة مؤدّاها أنّ قيمة أيّ علم تكمن في الإجابات والحلول الّتي يقدّمها للإشكاليات والمعضلات الّتي تواجه الإنسان في حياته. وإن نحن عدنا القهقرى إلى مرحلة انفصال العلوم المسمّاة حاليا بالاجتماعيّة والإنسانيّة عن الفلسفة، لوجدنا أنّ ذلك كان شكلا من أشكال الرّفض لانغماس هذه الأخيرة في تفسيرات عقلية مغرقة في التّجريد والتّنظير المحض الّذي لا يجد له أحيانا على أرض الواقع سندا، وكذا لتعليلاتها الميتافزيقيّة الجانحة.

وهو الأمر الذي حدا بباحث كبير ككوردر(S.P.Corder) ، وهو من هو مكانة لا يمارى فيها في الحقل اللساني التطبيقي، إلى التأكيد على أنّ القرون الأربعة الأخيرة قد شهدت الخروج التدريجي للعلوم الطبيعية، ومن بعدها ما يعرف بالعلوم الاجتماعية من ميدان الفلسفة. وذلك نتيجة رفضها المبادئ القبلية، والتفسيرات المنطقية التي كانت تقيّدها، وبحثا عن تأسيس معارفها على الملاحظة أو التجربة.

ومن ثمة نَحَت هذه العلوم إلى تبني مناهج أكثر انفتاحا على الواقع الفعلي للخبرة الإنسانية، من خلال الانبناء على الملاحظة والتجريب، وهو الأمر الذي استلزم إجبارا تصنيف العلوم وفق ثنائية تقابلية قوامها: علوم نظرية صرف، وعلوم تطبيقية.

كما أن تاريخ العلوم في مساره التراكمي الممتد عبر عشرات القرون، يؤكّد بما لا يرقى إليه الشكّ أن هاجس البحث عن الحل الأمثل والبديل النوعي، كان وراء نشأة كثير من العلوم، ولعلني لا

---

* ما يقابل في الفرنسية (linguistique appliquée) وفي الإنجليزية(applied linguistics)وفي الألمانية(Angewandte Linguistik) وتعرف في الدراسات العربية المشرقية بعلم اللغة التطبيقي، أو اللغويات التطبيقية.

أكون مبالغا إن قلت: هو سبب وجود كل العلوم، وسأكتفي ههنا بنموذج واحد أراه كفيلا بتجلية المسألة، وهو الغاية الكامنة خلف العلوم التي برع فيها العرب والمسلمون من نحو وصرف وبلاغة، ودراسات صوتية ومعجمية...بعد القرن الأول الهجري، إذ كان الدافع إليها تطبيقيا عمليا محضا متمثلا في حفظ كتاب الله من اللحن والخطأ، وتيسير فهمه للنّاس كافة، والإيغال في الكشف عن أسراره ومكنوناته. بل إننا لنجد أن توخي العلم النافع هو من صميم تعاليم الإسلام، فقد ورد في الأثر التعوُّذ من علم لا ينفع. وإن نحن أمعنّا النظر في تعريف ابن جني للنحو لوجدناه تطبيقيا إجرائيا، ينطلق من النظرية ويصل إلى الممارسة عبر تطبيقها، للتمكن من تجاوز اللحن وتحقيق صون اللسان:" النحوُ هوَ انتحاءُ سَمتِ كلامِ العربِ في تصرّفِهِ من إعرابٍ وغيره: كالتثنيةِ، والجمعِ، والتحقيرِ والتكسيرِ والإضافةِ والنَّسَبِ، والتركيبِ، وغيرِ ذلكَ، ليلحقَ مَنْ ليسَ مِنْ أهلِ اللّغةِ العربيةِ بأهلِها في الفصاحةِ فينطِقَ بها وإنْ لم يكنْ منهم، وإنْ شذَّ بعضُهم عنْها رُدَّ بهِ إليها ".كما نلحظ في قوله:" من ليس منها"، بُعدا تطبيقيا، وهو ما يعرف في زمننا بتعليم العربية للناطقين بغيرها، وهو تَوجّه تعليمي ساد لدى الغربيين حتى منتصف القرن العشرين والمعروف بطريقة القواعد والترجمة، في تعليم اللغات الأجنبية.

ولم تشذَّ اللسانيات عن هذا المنحى البراغماتي؛ فكان من نتائج هذا البعد الغائي أن عرفت تشظيا وانشطارا معرفيين قل نظيرهما في سائر العلوم*، ما يهمنا منه ههنا هو الوجه التطبيقي الذي اتخذ له مسمى اللسانيات التطبيقية في العقود الأخيرة.

وقد عملنا في هذه الدراسة على مساءلة إشكالية التخصص في هذا الحقل المعرفي. ومرد الاهتمام بهذه القضية عائد إل عدم استقرار المفاهيم، والتعريفات بين الدارسين، فقد وصف بـ : العلم الوسيط، والمضلل، وغير المستقر، وبجملة تخصصات مُجمَّعة،...مما أدّى إلى حالة بحث دائمة، إضافة إلى المراجعات المتواصلة التي مست عمقه، فهو: لسانيات تطبيقية، وتطبيقات لسانية، ولسانيات مُقحَمة، ولسانيات موجهة إلى التطبيق، ولسانيات تطبيقية في صيغة الجمع. ممّا يوصل في المحصّلة إلى أن المساحة المفهومية التي يغطيها المصطلح يكتنفها اللبس من جهة والاتساع وعدم الاستقرار من جهة أخرى. الأمر الذي دفع بالبعض إلى التشكيك في شرعية التخصص، وفي هويته. وعليه رأينا أن

* كلسانيات النص، ولسانيات الملفوظ، ولسانيات المدونة، واللسانيات الحاسوبية، واللسانيات التقابلية، واللسانيات التداولية، واللسانيات الإدراكية أو العَرْفاينة، ولسانيات الخطاب...

نطرح أسئلة من شاكلة: ما هي اللسانيات التطبيقية؟ وما وظيفة اللسانيين التطبيقيين؟ وما العلاقات التي تخص هذا الحقل، وتلك التي تفتح حوارا مع اللسانيات الموصوفة بالعامة، وكذا سائر العلوم المجاورة؟

وقد زاوجنا بين المنهجين التاريخي والوصفي في معالجة الموضوع، ومرد ذلك إلى طبيعته التي تفرض الوقوف عند المحطات التاريخية المفصلية التي أسهمت في ظهور هذا التخصص إلى حيز الوجود، مما يفرض التعويل على هذه المنهجين بوصفهما أداتين مُعينتين بما يمتلكانه من ثراء بأدواتهما التحليلية المجلِّية للقضايا المطروقة، كما عملنا على تعزيزهما بنظرات نقدية – نراها ضرورية- في تثمين الطروحات التي أردنا الانتصار لها، وخاصة أثناء تناولنا لراهن اللسانيات التطبيقية في الوطن العربي، وسبل النهوض بها، وإكسابها هوية عربية.

– مفهوم اللسانيات التطبيقية:

يكاد يقع الإجماع بين الدارسين على أنّ المهمَّة الرئيسة للسانيات التطبيقية هي التكفّل بحل المسائل والقضايا ذات الطبيعة اللغوية في شتّى ميادين النشاط الإنساني، ومن ثمة نُظِر إليها على أنها الأبحاث التي تتخذ من الإجراءات اللسانية سبيلا لمعالجة القضايا الموصولة بالحياة اليومية والمهنية التي تحضر فيها اللغة، وهو ما يعني ضمنا عملها على إيجاد الحلول للمشاكل اللغوية التي تستجدّ في مختلف مناحي الحياة العلمية والعملية.

ويجدر بنا في هذه المطارحة العلمية أن نحرص على عرض جملة من التصوّرات التي قدمها أساطين هذا التوجه العلمي تعريفا وتحديدا لتخصصهم وتمييزا له عن باقي الحقول المجاورة التي تشاطره الاهتمام نفسه ممثلا في اللغة.

وسننطلق في تحديد مفهوم اللسانيات التطبيقية من التعريف الذي تُصدِّر به الجمعيةُ الدولية للسانيات التطبيقية(A.I.L.A) موقعَها:" إن اللسانيات التطبيقية حقل معرفي بين-تخصصي(interdisciplinary) في البحث والممارسة، يعمل على معالجة مشاكل اللغة والتواصل، من خلال تحديدها وتحليلها وحلّها بوساطة تطبيق النظريات والطرائق والنتائج التي تتيحها اللسانيات، وكذا عبر وضع أطر نظرية لسانية ومنهجية جديدة، وعلى العموم تختلف عن اللسانيات بتوجّهها الصريح نحو المشاكل العملية اليومية المتعلقة باللغة والاتصال".

ما يلاحظ على هذا التعريف هو منحاه الوظائفي الذي اتجه مباشرة إلى المهام المنوطة باللسانيات التطبيقية، إضافة إلى التركيز على طابعها الإجرائي، وذلك بإفصاحه عن الآليات والأدوات

المنهجية الموظفة في أداء هذه المهمة(التحديد، التحليل، الحل)، والتصريح بالمرجعية المستند إليها في اللسانيات التطبيقية في تنفيذ المهام الموكلة إليها، ألا وهي المرجعية اللسانية النظرية(نظريات، طرائق، نتائج)، ونلحظ أنه حقل غير منغلق إذ يترك الباب مُشرَعا للاسترفاد من حقول معرفية أخرى، إذ أباح اللسانيون التطبيقيون لأنفسهم وضع أطر لسانية ومنهجية جديدة تعينهم على التصدي للمشاكل التي تعترضهم، كما هو واضح بصريح العبارة(وضع أطر نظرية لسانية ومنهجية جديدة)، حينما يَعدِمون السند المرجعي في اللسانيات العامة، وهو ما يؤهّل هذا الحقل ليكون مجالا مفتوحا، فحيثما وجد مشكل لغوي امتلك شرعية التدخل لمقاربته. وأُشِيرَ في خاتمة هذا التعريف إلى ما يميز اللسانيات التطبيقية عن نظيرتها النظرية، وذلك بغية دفع أي لبس قد يتبادر إلى ذهن المتلقي في هذا الباب.

وينفتح أفق اللسانيات التطبيقية، في التأطير المرجعي المستند إليه، ليشمل مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية، من حيث المناهج والمقاربات التي تستمد منها منوالها الإجرائي، في تعريف الجمعية الأمريكية للسانيات التطبيقية(A.A.A.L) ، انطلاقا من كونها نشاطا بين- تخصصيا يهدف إلى فهم الدور الذي تؤديه اللغة في حياة الأفراد، والسياقات والشروط الاجتماعية التي تؤطِّرها. وبذلك تعمل اللسانيات التطبيقية من خلال هذا الانزياح الشمولي إلى قياس مدى تطويرها لمعارفها الخاصة باللغة ومستخدميها واستخداماتها وكذا الشروط الاجتماعية والمادية الكامنة خلفها.

وتختصر الجمعية البريطانية للسانيات التطبيقية (B.A.A.L) منظورها للسانيات التطبيقية في أحد منشوراتها على موقعها الرسمي في كونها مقاربة تهدف إلى فهم المشاكل الحقيقية للعالم وحلّها(real world prolems)، وذلك بوساطة الارتكاز على تأطير لساني نظري، وتحليل أمبريقي، وترى أنها ميدان بين-تخصصي يعمل على الربط والتَّوْليف ما بين اللسانيات والمناهج والتوجُّهات المستقاة من تخصصات أخرى.

وتتّجِه اللسانيات التطبيقية في تعريف الجمعية الألمانية(G.A.L) نحو فضاء أرحب لتعانق المجتمع بكل تعقيداته في ملابساته اللغوية، والتي لا يخلو أي ميدان منها مهما عظُم شأنه أو حقُر، وما يؤهّلها لهذه المهمّة في نظر الجمعية كونها تعدُّ واحدا من أهم الاتجاهات في حقل اللغويات، وذلك باضطلاعها باختبار الفعل اللساني والتواصلي في كل ميادين الممارسة الاجتماعية. وإن نحن توخينا الدقة العلمية جاز لنا القول: إنّها تعمل على تطبيق النتائج المتوصل إليها في اللسانيات ممارسة كالتكفّل بكل أشكال الاستشارات وأنماط التكوين. وتقسِّم الجمعية المهام الموكلة إلى اللسانيات التطبيقية إلى صنفين: تقليدية

كلاسيكية كموضوعات اكتساب وتعليم اللغات، وعلاج أمراض الكلام، والترجمة... وأخرى حديثة النشأة مُسايَرةً منها للتطور التكنولوجي الحاصل، وما ترتّب عنه من تعقيدات في مختلف مناحي الحياة مما استدعى تدخُّلها لأجل فحص وتشخيص المشاكل التي تنجرُّ عن هذا التعقيد، وايجاد الحلول المناسبة لها، وتَسُوقُ أمثلة للقطاعات التي يمكن أن تتدخل فيها اللسانيات التطبيقية عمومية كانت أو مهنية أو إعلامية كالصحة والعدالة والإعلام العمومي بشقيه الكلاسيكي والجديد، ولم تكتف الجمعية الألمانية بمجرد السرد للنشاطات التي تدخل في مجال انشغالها البحثي والإجرائي، بل تطرح الأدوات والأساليب والآليات التي تستعين بها في تغطية هذه الانشغالات، والتي يمكن إجمالها:

1-تطوير طرائق التدخل انطلاقا من النظريات والمفاهيم والمقولات اللسانية.

2-وضع تصاميم لتحويل مفاهيم المعرفة العلمية إلى ممارسات تطبيقية.

3- استحداث مناهج بحثية وسيطة تتسم بالنجاعة والفعالية.

وبغية تعميق النظر في مفهوم اللسانيات التطبيقية سنتوسل بتعاريف أخرى أوردتها جملة من المعاجم اللسانية المختصة والموسوعات العلمية وبعض أساطين هذا الحقل المعرفي ونبدأ بمعجم اللسانيات وعلوم اللغة الذي أشرف على وضعه جون ديبوا(Jean Dubois) الذي يرى أنه : يراد باللسانيات التطبيقية مجموع الأبحاث التي تتَّبِع الإجراءات اللسانية المحضة لأجل الخوض في بعض المسائل المرتبطة بالحياة اليومية والمهنية، والتي لها صلة باللغة، كما تعمل على حل المشاكل اللغوية التي تطرحها التخصصات العلمية الأخرى. وتشكل تطبيقات اللسانيات في الأبحاث البيداغوجية ميدانا أساسيا.

وهذا التعريف لا يبعد كثيرا عمّا سقناه من قبل، من حيث كونه يركز على البعد الإجرائي المستعان فيه بالأدوات والأبحاث اللسانية، بغية فهم وتفسير القضايا التواصلية المتكررة في اليومي، وما يمكن أن يعترضها من مشاكل تعيق التواصل السليم، والتي قد تقف عائقا في وجه وصول الرسائل إلى مظانِّها بسلاسة ويسر.

ويعرف معجم اللسانيات لجورج مونان(G.Mounin) اللسانيات التطبيقية على أنها تعني استخدام التقنيات والمعارف اللسانية في ميادين مختلفة، كالبيداغوجيا اللسانية، وعلم النفس العيادي، وتعريف لغات البرمجة والتخطيط اللغوي....

وقد ارتكز هذا التعريف على توضيح بعض مجالات التدخل التي تقتحمها اللسانيات مسترفدة أدواتها الإجرائية من اللسانيات النظرية، وهي مجالات متنوعة ومفتوحة.

وتذهب موسوعة (Universalis) في تعريفها للسانيات التطبيقية مذهبا تبريريا لشرعية الوجود انطلاقا من كون اللغة قاسم مشترك بين جميع البشر، مما يفرض حضورها وتدخلها في كل قطاعات وميادين النشاط الإنساني، والذي قد ينجر عنه حدوث مشاكل متنوعة ومختلفة، تتطلب وضع تقنيات تساعد على حلها، وهذا يستدعي تسخير المعارف النظرية عن اللغة للقيام بهذه المهمة، وهو الأمر الذي يدخلنا في دائرة التطبيقات اللسانية، ممثلة في اللسانيات التطبيقية. وهو تعريف لا يختلف في مضمونه العام عما سبق إيراده إلا في طابعه التبريري.

ما يخلص إليه الدارس من استعراض كل هذه التعريفات، أن اللسانيات التطبيقية توجُّه علمي إجرائي حديث نسبيا، ظهر إلى حيز الوجود وينحو إلى التخصُّص في مقاربة مشاكل اللغة والتواصل في المجتمع، وقد عرف تطورا معتبرا، إلّا أنّ الأسئلة الأنطولوجية المتعلقة بوجوده مازالت تطرح بصيغ مختلفة، وأشكال متعددة، تدور حول هويته وشرعيته، ومدى مواءمته ومصداقيته، اذ تظهر التعاريف المساقة انفتاحَه على مختلف القضايا اللغوية والتواصلية التي تفرزها تعقيدات الحياة اليومية، ولكن الثابت فيها أنه حقل معرفي بين- تخصصي، يمتَح من علوم شتى اجتماعية وإنسانية وطبيعية، وإن كانت اللسانيات النظرية تمثل القلب منه مرجعيا، ونلحظ أن جلّ التعاريف تشير إلى أن الميدان المفضَّل لتدخل هذا التخصص هو تعليم اللغات سواء أكانت أُمًّا أم أجنبية.

وهو الأمر الذي حدا بجامعة نيوشاتل(Neuchatel)السويسرية إلى أن تقدم اللسانيات التطبيقية على موقعها: بأنها تهتم بالممارسات الاجتماعية للغة، وهو ما يوصل في المحصّلة إلى أن الأمر يتعلق بعلم تجريبي في أسسه ومرتكزاته، وصياغة كهذه توصل إلى أن اللسانيات التطبيقية في عمقها لسانيات مفتوحة ونشِطة، وتشهد عدم استقرار وصفه أحد الدارسين في مقال حمل عنوانا مثيرا:" يا له من لا استقرار مثمر". فهذ اللااستقرار أثمر ثراء في القضايا المطروقة، وانفتاحا على مقاربات متنوعة تعود في جذورها إلى حقول معرفية كثيرة، وتبنيا لمناهج مختلفة، وولوجا لمناطق أهملتها اللسانيات النظرية، فغاية اللساني التطبيقي البحث عن الإجراء والحل الناجع دون تعصب لمرجعية علمية بعينها أو انتماءً لمدرسة بذاتها. وهو ما يدفعنا إلى القول: إن هاجس اللسانيات التطبيقية هو التحديث المستمر للأدوات، والمناهج، والأطر المعرفية التي تسترفد منها حرصا منها على الإجابة عن الطلبات الاجتماعية الملحة.

وهذا الهاجس التحديثي الملازم لطبيعة اللسانيات التطبيقية، يوصلنا إلى الادّعاء أنّه على الرّغم من هذه المحاولة التركيبية، بغية الوصول إلى تعريف جامع مانع، وذلك بالتوليف ما بين المشترك من

التعاريف سالفة الذكر، قصد إحداث حالة توافق، فإن اللسانيات التطبيقية، كما يرى ألان ديفيز(Alan Davies) تعاني مشكلة تعريف، فهي تدل على أشياء كثيرة لكثير من الناس، وإن طابعها البين–تخصصي أدخلها دائرة التركيب ما بين جملة من البحوث، مما نجم عنه أن أضحت خليطا من تخصصات عدة. وذلك في معرض استعراضه لعدد من كبير من التعريفات، وآراء الباحثين في محاولة لهم ضبط إطارها المفاهيمي.